# المرجعية الدينية في شعر العصر المملوكي

Religious authority in the Mamluk era


**م.م. رندة فاضل كرجي نصيف**

M. M. Randa Fadhil Karji

كلية العلوم الاسلامية/ الجامعة العراقية

College of Islamic Sciences/Iraqi University

**د. بلقيس خلف رويح سامان**

Dr. Balqis Khalaf Ruwaih

كلية التربية/الجامعة المستنصرية

College of Education/Al - Mustansiriya University

# الملخص

يروم هذا البحث لدراسة المرجعية الدينية في الشعر المملوكي إذ شكّل المصدر الثقافي الديني مصدَراً إلهامياً لشعراء هذا العصر، فقد عبروا عن قضاياهم وتجاربهم الخاصة والعامة، فالنص القرآني ساعد على إثراء دلالة النص المملوكي وتكثيفها.

وبما أن أغلب شعراء هذا العصر من الفقهاء وعلماء الدين فقد عد النص الديني ركيزة مهمة من ركائز الشعر المملوكي، وقد تجلى هذا المرجع في معظم أغراض الشعر المملوكي. وكان المرجع الديني المباشر هو الطاغي في أرضية الشعر المملوكي، ونعني به توظيف النص القرآني من دون تغيير.

Abstract:

This research aims to study the religious reference in Mamluk poetry, as the cultural source formed an inspirational source for the poetry of this era. They expressed their own issues and experiences, and the Qur'anic text helped to make important contributions to Mamluk texts and intensify them.

Since most poets of this era were jurists and religious scholars, religious texts were considered a crucial pillar of Mamluk poetry, and this influence was evident in most of its themes. The direct religious reference was dominant in Mamluk poetry, meaning the unaltered use of Quranic verse.

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 1 | العدد 42
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.1 | Issue 42
ISSN: 2225-9732

March 2026

# المرجعية الدينية

**توطئة:**

وتعني المرجعية الديني هي نصوص دينية مختارة من الشعراء عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وللمرجعية الدينية أثر واضح في تكوين الثقافة الشعرية لدى الشعراء العصر المملوكي، لذلك نستطيع ان نقول إن ((المرجعيات الدينية مصدر مهم من مصادر الالهام الشعري والبوح الشعري عند معظم الشعراء، وحين يحسن الشاعر توظيف هذه المرجعية على نحو جيد فأنه يوفر لنصه الشعري ديمومة أكثر وسعة انتشار أكثر وتداول اعلى عن جمهور القراء،ويعزز من قوة شعره من الناحية الفنية والدلالية))[1].

وبما أن معظم شعراء العصر المملوكي هم من العلماء والفقهاء، فأن هذه الثقافة برزت بصورة أوسع من العصور السابقة، ناهيك عن أن شعراء العصر المملوكي عاشوا فترات عصيبة من حروب وحصار، فنجد ان شعراء هذا العصر وظفوا المرجع الديني بوصفه أداة تعبيرية تسهم في التخفيف من حدة الأزمة النفسية والعاطفية في تجربتهم الشعرية.

وتحمل المرجعية الدينية في طياتها قداسة الفكر، وسمو المنطق، وجمال الأسلوب، وانطلاق الخيال في أجواء من السكينة والطمأنينة، مما يتيح للشعراء التعميق في جوهر هذا المعتقد على تنوع مشاربهم وتعدد رؤاهم. ولهذا يعد القرآن الكريم أولى المنابع الدينية التي ينهل منها الشعراء هذا العصر في صياغة قصائدهم الإبداعية، كما كان للحديث الشريف بصفته المصدر الثاني والامتداد للقرآن الكريم، حضور بارز في تشكيل رؤاهم الشعرية وصورهم التعبيرية.

وقد كان القرآن الكريم النصيب الأوفر من هذا التوظيف. إذ يعد القرآن الكريم منذ نزوله وحتى اليوم مصدرا رئيسياً للاستدلال الثقافي والفكري في المجتمعات الاسلامية و(القرآن الكريم، كلام الباري الذي ترفّع وتجلّى عن كلام البشر في جميع أنماطه ونواحيه لا يجاريه أي كلام، فهو الذي إن أوجز كان كافياً، وأن أكثر كان مذكراً، وأن أوماً كان مقنعاً) [2]. ويظل القران الكريم المرجعية

(١) ١ توظيف المرجعيات الثقافية في شعر محمد مردان، محمد جواد علي ، دار ضفاف للنشر ومنشورات الاختلاف ودار الامان ، الرباط المغرب ،٢٠١٣: ٢٨.

(٢) أثر القران الكريم في الشعر الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين، هادي طالب العجيلي، ط١، الدار المنهجية للنشر

الثقافية العليا الذي نظم حياة الأمم، وأصبح محط أنظار المفكرين في مختلف التيارات يؤولون آياته بحسب منهجهم وعقيدتهم لتتماشى مع سياق حياتهم وأيدولوجياتهم ف((هذا الكتاب العظيم أن حوّل أدب اللغة العربية إلى أدب عالمي يخوض في مشاكل الحياة والجماعة وينظم أمورها الدينية والدنيوية، فارتقى الأدب العربي رقياً لم يكن يحلم به العرب واتسعت آفاقه))[1]. وقد ادرك القدماء اهمية ان يحفظ الكاتب والشاعر القرآن الكريم والحديث النبوي والاشعار المتميزة ،حيث ان اتساع المدخر المعرفي يعزز قدرتهما على الابداع واتقان الصنعة الأدبية. وذلك لأن ((التصوير الشعري يجسد المعنى الذهني، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها يمنحها الحياة الشاخصة ،أو الحركة المتجددة)) [2].

وقد نال القرآن الكريم منزلة سامية في الشعر العصر المملوكي فالشعراء _كما قلنا سابقا_ جلهم من الفقهاء والقضاة والعلماء حفظوا القرآن الكريم وتدبروا معانيه ووظفوه في شعرهم ونثرهم وقد تجلى ذلك في العديد من القصائد التي استلهمت الاقتباس القرآني بصورة مباشرة، يتجلى التوظيف المباشر للنصوص القرآنية في سياق الشعر بعدة صور ، إما بإدراج الآية الكريمة كاملة ضمن بنية البيت الشعري ، لا سيما إن كانت قصيرة المبنى أو قد يتمثل في اقتباس جزء من الآية يعمل بمثابة إشارة دالة على المضمون الكلي للآية الأصلية. وقد يقوم الشاعر بنقل الآيات القرآنية كاملة في قصيدته ، وفقا لرؤيته الفنية في سياق عمله الأدبي، كقول بهاء الدين زهير(ت٦٥٦هـ)[3]:

**كَلامُـــكِ فيـهِ وَحـــدَهُ لـي كِـفـايَـةٌ  كَأَنَّ صُـخـوراً مِنـهُ تُـقـذَفُ فـي سَمعي**
**سَأَدعـــو عَـلـى الـجُـرِدِ الـجِـيـادِ لِأَنَّـهـا  سـرَت فَأَتَـت بـي وادِيـاً غَـيـرَ ذي زَرعِ**

فالشاعر في البيت الثاني وظف قوله تعالى: ((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ. . . ))، فالشاعر استعمل الآية القرآنية الكريمة بألفاظها، لكنه عبر بها عكس تعبير القرآن الكريم،

والتوزيع، عمان - الاردن، ٢٠٢٠م: ٢٣.

(١) ينظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، ط١٠، دار المعارف_ مصر، ١٩٨٦م: ٣٦.

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت١٣٨٦هـ)، دار الشروق، بيروت_ لبنان، د. ت: ٣٦.

(٣) ديوان بهاء الدين زهير، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٤م: ١٩٤

فالنبي ابراهيم عندما أسكن زوجته السيدة هاجر وابنه اسماعيل (عليهم السلام) في هذا الوادي الذي دب الحياة فيه بقدومهم، لكن مكان الشاعر تحول إلى مكان معاد بسبب جارته التي تسمعه الكلام الجارح طول مدة مكوثه. فالشاعر عمد إلى اعادة انتاج جو القصص القرآني ضمن السياق الذي يخدم البناء الشكلي والدلالة التي يرمي إليها الشاعر في كل توظيف(١).

لذا يعد التصوير الشعري أداة فاعلة في نقل الأحداث وتجسيد التجارب الإبداعية، حيث استلهم الشعراء من القرآن الكريم تقنيات القص والتشكيل الصوري، مما اضفى على نصوصهم عمقاً وجمالا.

ويستمد شمس الدين الكوفي(ت٦٧٥هـ) ألفاظه ومعانيه من الثقافة القرآنية، إذ يقول(٢):

**وتأسفت حين شاهدت اعمالي (وَلَاتَ حِينَ مَنَاص)(٣)**

إذ لا مفر من الأعمال المشينة التي يرتكبها الانسان.

ويقول في نص آخر متعجبا من برودة وصفاء حمام المستنصرية في عصره(٤):

**ولو أن أيوب في عصرنا قد مسه بالأذى البارد**
**لجاء إلينا فحمامنا (شراب ومغتسل بارد)**

إستعان الشاعر بالآية الكريمة: ((هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ))(٥).

ومنه قول التلعفري (ت ٦٧٥هـ) ماحا: الرجز

**اذا انتصَبتَ للخطوب راشقاً كالصُّقل ماضي العزمِ محمودَ الأثَر**
**أعدتها وهي على أعقابها ناكصةً تُبصِرُ منكَ ما بهَر**
**إذا انثنت مِن خوفهِ قائلةً أين المفرُّ قالَ كلاَّ لا وزَر**

فالشاعر وظف الآيتين الكريمتين من سورة القيامة ((يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ، كَلَّا لَا وَزَرَ))(٦)؛ لتشكيل الصورة الاستعارية، فالخطوب خائفة لا مفر لها من الممدوح المتسم

(١) ينظر: أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، د. علي حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م: ٨٣
(٢) ديوان شمس الدين الكوفي (ت٦٧٥هـ) جمع وتحقيق د. ناظم رشيد شيخو، ط١، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان_الأردن، ٢٠٠٦م: ٤٧.
(٣) سورة ص: آية ٣.
(٤) ديوان شمس الدين الكوفي: ٣٥.
(٥) سورة ص: آية ٤٢.
(٦) سورة القيامة: الآيتان ١٠ - ١١.

بشجاعته الفائقة.

وتبرز المرجعية الدينية في شعر ابو الحسين الجزار[١]، و توظيفه العميق للمعاني الاسلامية ببراعة في معظم الاغراض الشعرية التي تناولها الشاعر في شعره،، حيث يظهر التأثير القرآني جليًا في نصوصه الشعرية عبر المواطن التي استلهم فيها هذا الاسلوب بشكل مكثف، كقوله[٢]:

**أرى الإسكندريَّة ذات حُسنٍ بديعٍ ما عليهِ من مزيد**
**حَلَلت بظاهرٍ منها كأني حَلَلتُ هناك جَنَّاتِ الخلودِ**
**فلا بئرٌ مُعَطَّلَةٌ وكم قد رَأَيتُ هناك من قَصرٍ مَشيد**

نرى المرجعية الدينية في البيت الثالث مقتبس؛ إذ اقتبست ألفاظه من قوله تعالى: ((فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ))[٣] ،تستلهم هذه الابيات أسلوباً مديحياً وصفيًا، يهدف الى تجسيد الاسكندرية كفضاء جمالي متكامل الأبعاد، وهو ما يتناسب مع مستهل ثصيدته إذ استهلها بالتركيز على فرادة جمال الإسكندرية الذي لا يضاهي، مما يرسخ فكرة المدح المطلق للمدينة، ثم ينتقل ابن الجزار الى صورة تشبيهية ذات بعد روحي، إذ ربط بين وجوده في المدينة وبين دخوله جنات الخلود، يضفي هذا التشبيه على مدينة الاسكندرية طابعاً من القداسة والنقاء، ثم يقابل الشاعر التباين الضمني من خلال ذكر غياب البئر المعطلة الذي يرمز الى الخراب، وهذا تأكيد على ان المكان امتلاء بالحياة والعمران، يختم ابن الجزار النص بوصف المظاهر الحضارية التي كانت بارزة والتي تمثلت بالقصور المشيدة التي تحمل فخامة التاريخ العريق ف((إن استدعاء الرافد الديني المتعالي في الخطاب الشعري العربي ، يشير إلى بعد تداولي خاص لهذا الخطاب، لما لهذا الرافد من اثر في نفس المتلقي العربي على مر التاريخ واشتراك هذه الخطابات مع هذا الرافد في المعنى، يعطي هذه الخطابات – بالضرورة – معنى متعالياً أيضا)) [٤].

(١) أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحي بن محمد بن علي الجزار المصري ، الشاعر عربي ولد بمدينة الفسطاط في سنة (٦٠١هـ)، وتوفي الشاعر سنة (٦٧٩هـ) ، ينظر: فوات الوفيات والذيل عليها، تأليف: ابن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، د. ت: ٢٧٨/٤.

(٢) شعر أبي الحسين الجزار المصري (ت٦٧٩هـ) ، جمع وتحقيق د. أحمد عبد المجيد، محمد خليفة ، ط١، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٦م: ١٠٦.

(٣) سورة الحج: الآية ٤٥.

(٤) لسانيات الخطاب وانساق الثقافة، د. عبد الفتاح أحمد يوسف ، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت، ٢٠١٠م:

ومن الشعراء الذين وظفوا النص القرآني الكريم ابن قرناص الحموي (ت٦٨٧هـ)، إذ يقول راثيا[١]:

**إنّ الذين ترحّلوا نزلوا بعينٍ ساهره**
**أنزلتُهُمْ في مُقلتي (فإذا هُمُ بالسَّاهره)**

فالمرثي على الرغم من أنه أصبح في باطن الأرض إلا أنه لم يغب عن الشاعر بل هو في عينه الساهرة، لذلك وفق الشاعر في استعمال الآية المناسبة لغرضه. ومما زاد من براعة التوظيف للآية الكريمة استعمال الشاعر لفن الجناس في القافية فالساهرة الأول بمعنى السهر، والأخر التي في الآية الكريمة تعني الأرض.

وتجلى هذا النمط بوضوح في قصائد الشاب الظريف(ت٦٨٨هـ)، حيث ورد في سياقات متعددة ومواضع متنوعة ، مما يعكس حضوره القوي وتأثيره في نتاجه الأدبي، ومنها قوله[٢]:

**أهْيَفُ كَالبَدْرِ يَصْلي في قُلوبُ النَّاسِ نَارا**
**يَمْزِجُ الخَمْرَ بِفيهِ فَتَرَى النَاسَ سُكَارى**

يحاول الشاعر الشاب الظريف في هذا النص التعبير عن العذاب والافتتان الذين يسببهما المحبوب ، معتمداً في تصويره على دلالات قوية ومؤثرة تستحضر في ذهن القارئ صوراً من العذاب الأخروي ، فيلجأ إلى التناص مع القرآن الكريم ، مستدعياً أقسى المشاهد المرتبطة بالعقاب الإلهي لترسيخ إحساس الألم والذهول في وجدان المتلقي، وفي الموضع الاول يستحضر قوله تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا))[٣] ويوظف الشاعر الفعل نصلي للدلالة على العذاب بالنار، رابطاً بذلك بين فتنه المحبوب وعذاب الآخرة ، مما يعمق من الإحساس بالقسوة والتوهج المؤلم ، أما في الموضع الثاني فيصور الشاعر حالة الذهول والحيرة وفقدان الإرادة أمام جمال المحبوب ، من خلال اقتباس آخر من سورة الحج آية ٢، مع قوله تعالى: ((وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ))[٤] وهي صورة قرآنية تعبر عن الذهول الكامل الذي يصيب

٦٨ - ٦٩.

(١) شعر محي الدين ابن قرناص الحموي دراسة وتوثيق حسين عبد العال اللهيبي، مجلة مركز دراسات الكوفة، ع٣١، ٢٠١٣م: ٩٣.

(٢) ديوان الشاب الظريف،صلاح الدين الهواري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت_ لبنان، ١٩٩٥: ١٢٣.

(٣) سورة النساء: آيه ٥٦.

(٤) سورة الحج: آية ٢.

الانسان في موقف الحشر ، فينقلها الشاعر ببراعة ليعبر بها عن الاضطراب والهيام الذي يحدثه جمال المحبوب في النفس.

يوسف الذهبي (ت٦٨٨هـ)المرجعية القرآنية المباشرة، لوصف زهور اللوز، إذ يقول[١]:

**مَـا نَـظَـرَتْ مُـقْـلَـتِـي عَـجِـيـبَـاً كـالـلـوز لـمـا بـدا نـواره**
**اشـتـعـل الـرأس مـنـه شـيـبـا واخـضـر مـن بـعـد ذا عـذاره**

فالشاعر وصف جمالية لون زهرة اللوز الناتج من مزج اللون الأبيض والأخضر، لذلك استدعى الذهبي الآية القرآنية قال تعالى: ((وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا))[٢].

ومن الذين اعتمدوا على المرجعية القرآنية المباشرة بهاء الدين الإربلي(ت٦٩٢هـ)، وذلك في قوله راثيا الإمام الحسين عليه السلام[٣]:

**إن فـي الـرزء بـالحسين الشهيد لـعـنـاء يـودي بـصـبـر جـلـيـد**
**إن رزء الـحـسـيـن أضـرم نـارا لا تـنـي فـي الـقـلـوب ذات وقـود**

إذ وظف الشاعر عبارة ذات وقود من الآية الكريمة ((النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ))[٤]، فهذه النار مستمرة لا تنطفئ في قلب الشاعر وقلوب مريدي الإمام الحسين (عليه السلام).

يصنف ابن الظاهر(ت٦٩٢هـ)* ضمن الشعراء الذين استلهموا نهجهم الفني من القرآن الكريم والتقنيات البلاغية السائد في حقبته، وقد تجلت مقدرته الشعرية وبراعة الاسلوبية في استخدامه البارع للاقتباسات القرآنية، وابراز تمكنه اللامحدود من أدوات اللغة، حيث نرى الشاعر يقدم لنا نصاً ادبياً ذات رؤية تستحق التأمل، كقوله[٥]:

**إن كـانـت الـعـشـاقُ فـي اشـواقـهـم جعلوا النَّسيم إلـى الـحَبيبِ رسـولاَ**
**فـأَنـا الـــذي أتـلـو لـهـم يـا ليتني كـنـتُ اتـخْـذتُ مـع الـرَّسـول سبيلَا**

(١) ديوان يوسف بن لؤلؤ الذهبي (ت٦٨٠هـ) جمع وتحقيق ودراسة: عباس هاني الجراخ، الآفاق العربية، ٢٠٠٤م: ٧٤.
(٢) سورة مريم: آية ٤.
(٣) ديوان الصاحب بهاء الدين الإربلي علي بن عيسى الإربلي (ت٦٩٢هـ)، صنعة وتحقيق كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الينابيع، دمشق_ سوريا، ٢٠٠٦م:
(٤) سورة البروج: آية ٥
(٥) شعر محي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ) ،ت الدكتور عادل كتاب نصيف العزاوي ، ط١ ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، بغداد شارع السعدون، د. ت: ٩٣.

ينقل الشاعر ابن الظاهر القصيدة من تجربة العشق إلى تأمل ذاتي يكشف عن أفق تطلعي اسمى لديه، فبدلاً من الاكتفاء بمجاراة العشاق ، يعبر الشاعر عن أمنية عظيمة تتمثل في الارتباط الوثيق بالمسار النبوي، كمالا يتجلى في اقتباسه الموفق للآية القرآنية الكريمة ((يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا))[١]، يعكس هذا الاقتباس رغبة الشاعر في الانضمام الى زمرة العشاق ، بل يؤكد على تطلعات ابن الظاهر نحو الافتداء بالرسول الكريم وسلوك سبيله، وهكذا تظاهر براعة الشاعر وقدرته على تضمين المرجعية الدينية في النصوص الشعرية ببراعة فائقة ، لتعميق المعنى واضفاء بعد روحي على النص.

واذا اطلعنا على شعر سراج الدين ابن الوراق (ت٦٩٥هـ)*، نرى ان الشاعر يتطلع الى الارتقاء بمستوى شعره من خلال استلهام المعاني النبيلة من قوة وعظمة آيات القرآن الكريم ، مما يعزز قيمته الفنية والادبية، علاوة على ذلك ، لم يغفل ابن الوراق في الانخراط في مجالات إبداعية أخرى، ومن اقتباساته قوله[٢]:

**يَـــخْـــرجُ الـــطـــيّـــبُ ســـهلًا  مـــنْ يَـــد تُـــســـدي الـــنـــدى**
**والـــــذي يـــخـــبـــثُ ، لا  يَـــــخـــــرجُ إلّا نـــكـــدا**

لقد برع الشاعر ابن الوراق في الاقتباس القرآني من سورة الاعراف ، الآية ٥٨ من قوله تعالى ((وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدً ))[٣]، إذ نجح في التعبير عن قيم إنسانية بأسلوب يتسم بالإيجاز والوضوح، ومن خلال هذه الابيات الشعرية القصيرة يقدم لنا الشاعر حكمة فلسفية عميقة تتصل بالطبيعة الاخلاقية للإنسان، ويؤكد ابن الوراق ان الخير ينبع من النفوس الطيبة ، وان الخبث لا ينتج سوى الاضطراب والمعاناة، نرى الشاعر يصب هذه الرؤية في قالب شعري الذي يتسم بالسلاسة والدقة، كما نرى التوظيف المباشر للقرآن الكريم عند الشاعر البوصيري (ت٦٩٦هـ) في قصيدته البردة يقول[٤]:

**أنـي اتـهَـمْـتُ نصيح الشَّيْـبِ فـي عَـذَلٍ  والـشَّـيْـبُ أبـعَـدُ فـي نُـصْـحٍ عـنِ التُّـهَـمِ**

(١) سورة الفرقان الآية ٢٧

(٢) سراج الدين الوراق حياته وشعر جمع ودراسة ، اعداد طالب ميسر حميد سعيد، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٩٨٢م: ٢٣٠.

(٣) سورة الأعراف: آية ٥٨

(٤) ديوان البوصيري، شرف الدين ابي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٥٥م: ١٩١.

**فإنَّ أمَّـارَتـي بـالـسُّـوءِ مـا اتَّـعَـظَـتْ مِـنْ جَـهِـلْـها بـنـذيـر الـشَّـيْـبِ و الـهَـرمِ**
**ولا أعَـدَّتْ مِـنَ الـفِـعْـلِ الجميلِ قِـرَى ضَـيـفٍ ألـمَّ بِـرَأْسـي غـيـرَ مُـحْـتَـشِـمِ**

يبدو أن الشاعر قد نجح في توظيف المرجعية الدينية المتمثلة في الآية القرآنية التي يقول فيها تعالى: ((وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[1] ببراعة فائقة لخدمة مضمون نصه الذي يدل على الحكمة، ويظهر فهم الشاعر العميق للدين والحياة فان هذا التوظيف يضفي على النص بعدا نفسيا وفلسفيا وأخلاقيا، مع إحداث تغير طفيف في بعض الألفاظ ، محافظًا على المعنى الأصلي للنص القرآني ، ويظهر هذا التوظيف حضورًا قويًا للروح الإيمانية في النص الشعري.

ونجد المرجعية الدينية في شعر نصير الدين الحمامي(ت٧٠٤هـ)، وقد تشكل المعاني الديني اساس في معظم قصائده الشعرية ، كقوله[2]:

**فـي وجـهـكَ لـلـجـمـال والـحـسـن فـنـونْ فـي طـرفِـكَ لـلـسـحـر فـتـورٌ وفـتـونْ**

إني آسلو هواك يامنْ باتتْ عيناهُ تقولُ للهوى: كنْ فيكونْ

يستهل الشاعر وصفه للمحبوب بالأكيد على ان جماله ليس جمالاً اعتيادياً ، بل هو متعدد الأنماط ، أشبه بالفنون المتنوعة التي تأسر عين الناظر إليها، يرى الشاعر في ملامح المحبوب لوحة فنية متكاملة ، لا يمكن اختزالها في نوع واحد من الجمال ، ثم ينتقل الشاعر الحمامي الى تصوير عيون المحبوبة ، مؤكداً مصدر للسحر والجاذبية ، ويخص بالذكر النظرة الخجولة أو الهادئة التي يصفها بالفتور معتبراً أن هذا الفتور يزيدهما فتنةً وجمالاً ، ويجعل منهما قوة قادرة على أسر القلوب والعقول معاً ، ويبلغ الحمامي ذروة التعبير في الشطر الأخير حين يعترف بأن عيني المحبوب تمتلكان قدرة سحرية فريدة على إيقاد الحب في قلبه ، فنجد الحمامي يشبه نظرة المحبوب بعبارة (كن فيكون) الواردة في القرآن الكريم ، في اشارة الى قدرة الله تعالى على خلق الاشياء بمجرد كلمة ، ويشير الشاعر ان الحب في قلبه ينشأ فوراً ، وبلا مقدمات أو تردّد بمجرد أن تلتقي عيناه بعيني المحبوب. فالشاعر استعان بالاية الكريمة لزيادة القدرة الايحائية.

(١) سورة يوسف: ٥٣.
(٢) عقد الجمان: ٣٣٦/٤.

ويتجلى التأثر العميق للوداعي(ت٧١٦هـ)[١]. بالمرجعية الدينية المتمثلة في استلهام النظم القرآني من حيث المعاني والأسلوب، إلى جانب توظيفه للقصص القرآني في سياق شعري يعكس فهماً و تأملاً في مضامينه الروحية والفكرية، ونجد هناك اكثير من القصائد التي تحمل في طي نصوصها الآيات القرآنية بشكل واسع ، ومن قصائده التي يصور فيها عذاباته في الحب وتقلب أحواله كقوله[٢]:

**تعجّبوا من أدمعي إذْ غَدَتَ بيضاً وكانْت من دمِ قانِ**
**لا تعجبوا طرفي ربَ الهوى وكُلّ يومٍ هو في شانِ**

وتبرز المرجعية الدينية بجلاء في العجز للبيت الثاني، فهو يقتبس من قوله تعالى ((يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ))[٣].

نرى تألق أشعار ابن نباتة المصري (ت٧٦٨) بلغة القرآن الكريم ودلالاته، إذ كانت ثقافته القرآنية مصدرا ثرا للمعاني، فالقصص والاخبار والامثال القرآنية تشكل مادة ثرية الانتاج الدلالات، استطاع الشاعر ابن نباته المتبصر ان ينسجها في أبياته الشعرية وعندما امعنا النظر في شعر ابن نباته امكننا استخلاص المرجعية الدينية في أبياته الشعرية، إذ يقول[٤]:

**تركَ الأسى إنسانُ عيني بعدكم أبداً يغادِي لوعةً ويراوحُ**
**تعبان ذا سهرٍ وسحٍّ مدامعٍ يا أيُّها الإنسان إنَّك كادحُ**

تكشف لنا هذه الابيات ابن نباته الشعرية عن حالة نفسية يغلب عليها الحزن ، وتبرز هذه الحالة من خلال توظيف الشاعر قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ))[٥] فهذه الآية الكريمة عبرت عن الأبعاد الدلالية للحزن والالم والفراق التي يعاني منها الشاعر نتيجة لغياب أحبته، وقد أجاد في ربط تجربته الشخصية، المتمثلة في الضياع

(١) الوداعي: علاء الدين علي بن المظفر بن هبة الله الكندي الاسكندري ثم الدمشقي ، هو شاعر عربي واسع الثقافة والمعرفة، ولد الشاعر الوداعي سنة (٦٤٠هـ) ، وتوفي في دمشق سنة (٧١٦هـ).

(٢) الشيخ علاء الدين الوادعي الكندي - حياته وما تبقى من شعره، مؤلف رائد عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة العلمية ، ٢٠١٧م: ٢٠١ - ٢٠٢.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٢٩.

(٤) ديوان ابن نباتة المصري ، الشيخ جمال الدين بن نباته المصري الفاروقي ،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، د. ت: ١٢٠.

(٥) سورة الإنشقاق: آية ٦.

والتعب الجسدي والنفسي ، بالكدح الإنساني العام المستمد من النص القرآني، مما يضفي عمقاً فلسفياً على معاناته الفردية، ثم ينتقل الشاعر بسلاسة من وصف حالته الذاتية الى الإشادة بجماعة محددة، يصفها بالصبر والقوة، مؤكدا على قدرتهم على التجلد والصمود في مواجهة الخطوب، ويظهر هؤلاء كأفراد أدركوا قيمة المثابرة ومعناها الحقيقي، ويختتم الشاعر رسمه لصورة تتسم بالكرم والصبر لهذه الجماعة، مقدماً إياها كملاذ آمن، وواصفا كرمهم بأنه ينير ظلام الكدح البشري.

يعد التوظيف المكثف للاقتباسات القرآنية سمة مركزية في شعر الشعراء العصر المملوكي ، ويتضح هذا الجانب بشكل لافت في قصائد ابن الوردي (ت٧٤٩هـ)[١]، فمن يتأمل ديوان الشاعر يكتشف عالماً متنوعاً وفنوناً زاخرة تنبض بالحياة ، حيث تتعدد الموضوعات وتتشابك في نسيج شعري غني بالتفاصيل الدقيقة التي تعكس أحداث حياته المتأثرة بمحيطه، ونرى ان شعر الشاعر أفاد من عبارات وجمل الكتاب المقدس التي تبين بديهته الحاضرة وقدرته الفائقة على توظيف هذه النصوص بشكل يتناغم مع معاني التي يعبر عنها، وتحافظ في الوقت نفسه على اتساق الوزن والقافية، إن اقتباس الوردي من القرآن الكريم له ما يسوغه، فبصفته فقيها يستمد أحكامه بشكل أساسي من القرآن الكريم ، مما يستلزم حضور النص القرآني بقوة في فكره، وهو بذلك يتماثل مع غيره من العلماء الذين يستمدون معارفهم من مصادرهم الجوهرية ((من القرآن الكريم الذي أخرس الفصحاء، وأفهم البلغاء ما يوشح به المتمثل لفظه، والواعظ وعظه ، والكاتب كتبه ، والخاطب خطبه))[٢]، قد استلهم الشاعر ابن الوردي مرجعية الدينية، وقد تجلى ذلك في قصيدته الامية بشكل واضح ، كقوله[٣]:

**اعتبرْ نحنُ قَسَمْنا بينَهُمْ تلقَهُ حقاً وبالحقِّ نَزَلْ**

(١) ابن الوردي: زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن عمر الفوارس المعري الكندي ، وهو أديب وشاعر ومؤرخ وفقيه شافعي ، ولد في معرة النعمان في بلاد الشام سنة (٦٩١هـ)، وتوفي في حلب سنة (٧٤٩ هـ).

(٢) الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والاعراب وسائر الفنون ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تح: عبد اللطيف حسن بن عبد الرحمن ، بيروت _ لبنان، ٢٠٠٠م: ٢٥٧/١.

(٣) ديوان ابن الوردي، عمر بن المظفر ابن الوردي، حققه وعلق عليه وجمع ملحقه: د. احمد فوزي البيب، ،ط٢ مؤسسة الرسالة ، الدار العامرة ،سورية دمشق ، ٢٠١٠م: ٤٠٦.

في هذا البيت الشعري يظهر توظيفه آيتين من الذكر الحكيم بأسلوب فني يعزز المعنى ويعمق الرسالة ، الأول مأخوذ من قوله تعالى ((نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ. . . ))[١]، وهذا المرجع يندرج ضمن سياق إثبات ان الأرزاق مقدرة ومقسمة من الله تعالى ، وهي حقيقة إيمانيه محورية في العقيدة الاسلامية، يوظف الشاعر هذا النص القرآني ليذكر القارئ بعدالة التوزيع الإلهي وضرورة التسليم لحكمة الله تعالى في تصريف شؤون خلقه، أما ألآية الأخرى فهي قوله عز وجل: ((وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ))[٢]، واستعان بها؛ لإثبات صدق الوحي الإلهي والتأكيد على ان القرآن الكريم نزل بالحق، لا يشوبه باطل ولا يداخله زيف. كما يكشف عن ثقة الشاعر بقدرة القارئ على إدراك المعنى واستكمال مالم يذكر صراحة من مفردات النص، ما يعكس عمقا في المعالجة الفنية وذكاء في الاعتماد على وعي المتلقي ، وقدرته على الربط واستكمال المعنى الغائب ضمنياً.

وقوله ايضا[٣]:

**ربَّ فلاح مـــــليـــــــح قـــــال: بـــا أهـــــل الـفـتـوه**
**ردفـــــــي أثـــــقـــــل خـصـري فأعـــيـــــنـــــونـــــي بـــقـــوه**

يصور الشاعر ابن الوردي في هذه الابيات مشهداً بسيطاً في ظاهره ، ولكنه ثري بالدلالات الرمزية، فالفلاح الذي يمثل الإنسان المثقل بالأعباء، يشكو من ثقل ما يحمله، متوجهاً بنداء استغاثه إلى أهل الفتوة طلباً للعون، لذلك وظف قوله تعالى: ((. . . فَأَعِينُونِي. . . بِقُوَّةٍ))[٤] هو اقتباس مباشرة من النص القرآني من سورة الكهف ، وتحديدا من قول ذي القرنين ، هذا يضيف بعداً دينياً وكونيناً على هذه الصورة الأدبية التي رسمها الشاعر.

وتعد المرجعية الدينية مظهرا من مظاهر تأثر الشعراء في الاقتباس من القرآن الكريم أو الإشارة الى معنى الآية قرآنية ، كما نجد ذلك واضحا عند الشاعر العمري(ت٧٤٩هـ)[٥]. ومن تأثره بالقرآن

(١) ٢ سورة الزخرف: الآية ٣٢
(٢) سورة الاسراء: الآية ١٠٥.
(٣) ديوان ابن الوردي: ٤٢٤.
(٤) سورة الكهف: آية ٩٥.
(٥) ابن فضل الله العمري: هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى بن فضل الله العمري ،هو شاعر مؤرخ اديب ، ولد في دمشق في سنة (٧٠٠هـ) ،وتوفي في دمشق سنة (٧٤٩هـ).

الكريم قوله[١]:

**مـــن صـنـعـه الـــبـــر ولـكـنـه قـد جـاءنـي فـي راحـــة الـبـحـر**
**أقـســمـت مـنـه قـسـمـا بـالـغـا بـالـفـجـر والـلـيـل إذا يـسـر**
**لـقـد أعـــرت الـغـيـد إذ لـم تـجـد شـبـيـهـه فـــي الـجـيـد والـثـغـر**

في هذا الابيات تبرز براعة الشاعر في تصوير الممدوح، وقد مزج بين عناصر الطبيعة والمفردات الدينية، مما يشكل اسلوباً بلاغياً رفيعاً ،يتجلى ذلك بوضوح في البيت الثاني الذي يتضمن توظيفا لمرجعية دينية مباشرة، متمثلة بقوله تعالى: (وَالْفَجْرِ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ))[٢] ما يؤكد تأثر الشاعر العميق بالمرجعية الدينية، وهذا التوظيف للمفردات الدينية ذات الدلالات الكونية والدينية يضفي على الصورة بعدًا روحيًا وجلالا ، يعزز من قيمة الممدوح وفرادته.

ومن ذلك قوله ايضا[٣]:

**وَأرتْـــنَـــا يـــوَم الَّـــرهـــان أنـاسـيْ ي سـكـارى ومـا هـم بـسُـكَـارَى**

يبرز هذا البيت الشعري براعة الشاعر في استخدام المرجعية الدينية بشكل مباشر من قوله تعالى ((وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ))[٤]، يعكس هذا البيت تمكن الشاعر من توظيف اسلوب المفارقة والتناقض لإيصال دلالة المعنى الظاهري المباشر ، وتغوص في اعماق التجربة الشعورية ، فالشاعر لا يشير الى سكر بالمعنى الحسي المألوف، بل يوظف المفهوم الدال على الحالة التي وصل اليها الناس من الارتباط وفقدان التوزان النفسي والعقلي، الناجم عن هول الموقف وشدة وقع الحدث، تظهر براعة الشاعر في تمكين جمالية البيت في هذا التداخل بين النسق الظاهر والمضمر، حيث يصور الشاعر الناس في لحظة من الصدمة التي أفقدتهم القدرة على الإدراك أو التحكم في الذات ، دون ان يكون ذلك سكراً حقيقياً، بل سكرًا مجازيًا يعبر عن الذهول العميق.

(١) شعر ابن فضل العمري (ت٧٤٩هـ) جمع وتوثيق ودراسة ، اعداد علي محمد غريب، رسالة ماجستير بكلية الدراسات العليا، جامعة الخليل ،سنة ٢٠٠٨م: ٢١٤.
(٢) سةرة الفجر: الآيتان ١، ٤.
(٣) ٢ شعر ابن فضل العمري: ٢١٤
(٤) سورة الحج: آية ٢.

كما استحضر الشاعر صفي الدين الحلي (ت٧٥٠هـ) آية من القرآن الكريم ،موظفًا إياها في سياق شعر يخدم غرضه التعبيري حيث عمد الى الربط بين مضمون الآية ومقصده الشعري، كقوله[١]:

**قد صَبرنا بالوَعِد منَك شهورًا ما رأينا بهْن لَيَلَة قدرِ**
**كلُّ تلكَ الشَّهورِ بِيضٌ ، ولكن ليَلَةُ القَدرِ خَيرٌ من ألفِ شهَرِ**

يتأوه الشاعر هنا من فجوة موجعة بين الوعد وما آل إليه الواقع ، فبينما كان الأمل يشرق بكلمة قطعت على إنجاز، تحولت الأشهر الى دهور من التسويف والمماطلة، وما عاد يرجوه سوى صدق يضيء ظلام الوعود الكاذبة ، ليتحقق الوعد في عظمته ونوره ، يتشبث الشاعر بخيط أمل رفيع راجيًا ان يصدق الوعد ليزهر كليلة القدر كخير عميم يتجاوز ألف شهر، ويعكس هذا الاستحضار قدرة الشاعر على توظيف المرجعية الدينية بما يعزز من عمق المعنى، ويضفي على النص بعدا روحيًا يبرز اتكاله على الارادة الإلهية في تحقيق مقاصده، وهو ما ينسجم مع النزعة الإيمانية الواضحة في شعره.

وقد أبدع صفي الدين الحلي كذلك في إحدى قصائده التي نظمها في مدح الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) مظهرا بلاغة رفيعة ومحبة صادقة، كقوله[٢]:

**ومن رقي في الطباق السبع منزلة ما كان قط إليها قبل ذاك رقي**
**ومن دنا فتدلى نحو خالقه كقاب قوسين أو أدنى الى العنق**
**ويقتصر مدح المادحين له عجزا ويخرس رب النطق الذلق**
**ويعوز الفكر فيه إن أريد له وصف ، ويفضل مرآه عن الحدق**

تظهر هذه الأبيات قوة وجمالية فريدة في القصيدة والشاعر لا يكتفي بذكر صفات النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، بل يرتقي ليبرز تفرده ومكانته العظيمة عند الله تعالى و تظهر المرجعية الدينية في البيت الثاني بشكل واضح ، مستوحيا ما ورد من سورة النجم الآية ٩في قوله تعالى ((ثمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى))[٣]، وهذا البيت يعزز فكرة القرب اللامحدود بين الخالق والمصطفى صلى الله عليه واله وسلم، ونجده يبرز الجانب الروحاني العميق لهذه الرحلة

(١) ديوان صفي الدين الحلي ، تنسيق وفهرسة (د. الشويحي) ، دار صادر - بيروت، د. ت: ٥٨٤.
(٢) ١ ديوان صفي الدين الحلي: ٨٤.
(٣) سورة النجم: الآيتان ٨ - ٩.

المباركة، فهذه الابيات تصف بوضوح معجزة الاسراء والمعراج ، حيث رفع النبي (صلى الله عليه واله وسلم) الى السموات العلى الى مقام لم يبلغه أحد من قبله، هذا الارتقاء وتكريمه الخاص من الله تعالى الى النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)،وهذا القرب العظيم الذي تفرد به النبي الذي لم يسبق له مثيل لأي مخلوق.

تعد المرجعية الدينية مظهراً من أبرز المظاهر التي عكست تأثر الشعراء بالتراث الديني، إذ مثلت عنصرا جوهرياً استلهم منه الشعراء مضامينهم، ومن بين هؤلاء الشعراء ابن حبيب الحلبي (ت٧٧٩هـ)[١]. الذي تميزت قصائده بالاقتباس من القرآن الكريم في اخذ اية بنصها، أو الاشارة الى معناها،أو استخدامه لبعض ألفاظها، كما نجد ذلك واضحاً في بعض قصائده، كقوله[٢]:

**كتابةُ السّرِّ علا قدرُها بابن الشهيد الألمعي الأريبْ**
**وكيف لا تعلو، وقد جاءَها (نصر من الله وفتحٌ قريبْ)[٣]**

في هذين البيتين تظهر براعة الشاعر في توظيف جماليات اللغة القرآنية، لتعزيز المعاني وتقوية وقع الكلمات، فالشاعر يصوغ رسالة في العطاء والتضحية، ومن خلال هذين البيتين يؤكد لنا الشاعر ان المجد الحقيقي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدم الشهيد الطاهر، مع إبراز الكيفية التي يتحلى النصر والفتح فيها كنتيجة للجهد والصبر.

وكذلك في مقطوعة اخرى يقتبس ابن حبيب من الآيات القرآنية، كقوله[٤]:

**سَألتُ ما قصْدُ الذي في جِلّقِ أضرمَ ناراً أوقعته في العَطَبْ**
**قالوا: أراد النّصر في إيقادها قُلتُ لهم: « تبَتْ يدا أبي لهبْ**

نلاحظ ان الشاعر اقتباس من قوله تعالى ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ))[٥] ، بشكل مباشر دون تغير في الالفاظ ومعاني ، ومن خلال هذه الابيات تبرز تأثر الشاعر ابن حبيب بالمرجعية الدينية

(١) ابن حبيب الحلبي: هو الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الحلبي ، وهو الإمام الأديب والمؤرخ الفقيه وشاعر عربي ، ولد الشاعر في دمشق في جمادى الآخرة سنة (٧١٠هـ) ، توفي الشاعر في داره بحلب يوم الحادي والعشرين من شهر ربيع لثاني سنة (٧٧٩هـ).

(٢) ديوان الشذور ، الحسن بن عمر ابن حبيب (٧٧٩هـ) ، تحقيق الاستاذ الدكتور حسن عبد الهادي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٩م: ٥٤.

(٣)

(٤) ديوان الشذور: ٥٥.

(٥) سورة المسد: آية ١.

بشكل واضح في قصائده الشعرية. وفي النمط المباشر يعمد الشاعر الى الحفاظ على الشكل البنائي للنص المقتبس، ولكن هذا الالتزام لا يخرجه من دائرة التناص الى دائرة التنصيص ، فالنسبة القرآنية تدخل في علاقة سياقية جديدة(١).

واتكأ الصفدي (ت٧٦٤هـ)(٢). على آيات القرآن كمرجعية دينية لتأصل أفكاره الشعرية، وتحويل النصوص الدينية إلى استعارات أو رموز تخدم الغرض الشعري، كقوله(٣):

**رُبّ قــاضٍ لسيف جفنيه حكمٌ  هــو فــي انــفــس الــبــريّــةِ مــاضِ**
**فقلتُ: قلبي رهنُ الهوى فاصطنعه  بــوصــالٍ أو (فــاقــض مــا أنــت قــاضِ)**

نجد ان الشاعر قد وظف الآية القرآنية في غير سياقها الاصلي اي في غرض مختلف عما وردت فيه، كقوله تعالى: ((فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا))(٤) ، فالآية تدل على قصة موسى (عليه السلام) وفرعون مع السحرة، والابيات تدل على القوة والحب مستخدما رمزية قاضي هو المحبوب ، والسيف هو قوة جفينه مما يقرب الصورة إلى الاذهان عبر هذا الترابط الدلالي.

وننتقل بعد ذلك الى مثالا آخر من ميدان الرصد والبحث ، حيث نجد الشاعر عبد الرحيم البرعي(ت٨٠٣هـ)(٥)، يطوع آية قرآنية فينسجها داخل بيت الشعري ، مستفيداً من دلالتها الاصلية في بناء المعنى الشعري، كقوله في قصيدة (سبحانه)(٦):

**أَتــاكَ ولا قَــلــبٌ سَــلــيــمٌ مُــطَــهَّــرٌ  ولا عَــمَــلٌ تَــرضــى بِــهِ كــان يَفعلُ**
**ولا يَرتَجِي من عند غَيرِكَ رَحُمَة  ولا يبْتَغِي فَــضلا لــمــن يَتَفضلُ**

(١) القرآنية في شعر الرواد دراسة لفاعلية النص الابداعي ، إحسان الشيخ عاصم التميمي ، الشؤون الثقافية ، بغداد – العراق ، ٢٠١٣: ٣٥.

(٢) صلاح الدين الصفدي: هو صلاح الدين أبو صفاء خليل بن أبيك الألبكي الصفدي الدمشقي ، وهو اديب وشاعر، ولد في صفد بفلسطين (سنة ٦٩٦هـ) وتوفي في دمشق (سنة ٧٦٤هـ).

(٣) الحسن الصريح في مائة مليح ، الصفدي ، تحقيق د. أحمد فوزي الهيب، ط١، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق ، ٢٠٠٣م: ٣٣.

(٤) سورة طه: ٧٢.

(٥) عبد الرحيم البرعي اليماني: هو عبد الرحيم بن احمد بن علي البرعي اليماني ، هو شاعر متصوف من سكان النيَّابتين في اليمن ، واشتهر الشاعر بالعلم والوقار والتفقه في الدين، توفي سنة(٨٠٣هـ).

(٦) ٣ شرح ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية ،تطبعة مؤسسة المطبوعات الاسلامية ، مكتبة عبد الرحمن، الازهر – القاهر، د. ت: ٢١.

بداية البيت تتجلى إشارة الى المرجعية الدينية بشكل واضح في قوله تعالى (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ). (١)

غير ان الشاعر لا يورد الآية نصاً، بل بتغيرها بصورة جمالياً، ليمنح القصيدة عمقاً دلالياً وايحائياً عميقاً ، أقرب الى القلب ، وهنا يظهر البرعي حالة الانكسار التي يعيشها، فيصور نفسه وهو قليل الحيلة ، باكياً نادماً على ما اقترفته يداه من الذنوب والخطايا ، متخليا عن حوله وقوته ، طالبا من ربه العفو والرحمة، ويجدر في هذا النص التذكير بأن فهم الآية القرآنية(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) عند جمهور المفسرين ، يدل على ان المقصود بالقلب سليم هو القلب الخالي من الشرك والنفاق ، ولا بضرورة خالي من الذنوب تماماً ، اذ لايسلم منها اي بشر، هذا يعيد التوزان لفهم الآية القرآني ، ويضع مبالغة الشاعر في إطارها العاطفي الصوفي، نلاحظ في هذه الابيات مبالغة واضحة في التنكير النفس ،وهذه سمة شائعة لدى الشعراء الصوفية ، حيث يشعر الشاعر المتصوف هذا الشعور بالتقصير مهما بلغت اجتهاده في الطاعة

ويقول أبو بكر الدماميني يشكو الحر في قنا(ت٨٢٧هـ)(٢):

**يا رب إنا قد أتينا نشتكي ما في الصعيد لنا من الأضرار**
**فارحم وداركنا فقوص حرها يحكي لظى، وقنا عذاب النار**

إذ وظف الشاعر قوله تعالى ((وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))(٣)، والفعل (قنا) ورى به الشاعر عن مدينة قنا إحدى المدن المصرية التي يكون فيها الحر في أعلى درجاته في فصل الصيف.

ومن شعراء العصر المملوكي الذين استعانوا بالمرجعية القرنية لنقل تجاربهم وأفكارهم للمتلقي الهائم المنصوري (ت٨٨٧هـ)، الذي يقول(٤):

**يا رب إن الظالمين بغ و في القلب تجريح**
**فاجعل بحقك جمع شملهم كرماد اشتدت به الريح**

(١) ١) سورة الشعراء: الآية. ٨٩

(٢) أبو بكر الدماميني شاعرا وناقدا، مع جمع شعره وتوثيقه ودراسته، إعداد سارة حسين السراحنة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، ٢٠٠٧م: ١٠٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

(٤) شعر ابن الهائم المنصوري جمع ودراسة وتحقيق أ. م. د. فاطمة حيدر علي، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، مج٢٢، ع٢، ٢٠١١م: ٦٧٤

فالشاعر استعان بالنص القرآني ((مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ. . . ))[1] فالظالمين الذين ظلموه عاملهم الشاعر كمعاملة الكفار لذا دعا عليهم بريح تبدد شلملهم لذلك نجح الشاعر في اختيار النص القرآني المناسب.

ويواصل شعراء العصر المملوكي في استلهام النصوص القرآنية بأسلوب مباشر، وتوظيفها بمهارة فائقة، وقد اتقن الشعراء المماليك هذا التوظيف، فكانوا يقتبسون أجزاء من الآيات من رحابها القرآني، وفصلها عن سياقاتها الأصلية؛ ليزرعوها في تربة نصوصهم الشعرية، متى ما رأوا في ذلك حاجة فنية تخدم المعنى وتجمل الأسلوب، بهذا التوظيف المتقن تمكنوا بالتحليق في فضاءات الابداع ، ومن بين الشعراء الذين برعوا في هذا المجال الشاعرة عائشة الباعونية[2]. ويبدو ان الشاعرة تعيد تشكيل المعاني القرآنية ضمن قصائدها ببراعة، محولة اياها الى صور شعرية متعددة الدلالات، وهنا تظهر قدرت الشاعرة على التأويل والإبداع، ونجد ذلك واضحا في قصيدتها البديعية الفتح المبين كقولها[3]:

**أنْــتَ الكليـمُ وهـذا طَـورُ حَضرتِهم أقْبِـلْ ، ولا تَـخَـفِ الـواشيـنَ بالكلمِ**

نرى المرجعية الدينية واضحة في هذا البيت ، حيث اقتبست الشاعرة من قوله تعالى ((وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ))[4] ، نجد هنا ان الشاعرة تخاطب شخصية ذات مكانة عظيمة ، وهي شخصية الرسول(صلى الله علية واله وسلم)، دعوة صريحة من خلال هذا الخطاب ، ترتقي بمقام المخاطب إلى منزلة رفيعة ، ونجد الشاعرة تستعير لقب الكليم الذي لقب به نبي الله موسى (عليه السلام) ، لما خصه الله به من شرف التكليم المباشر، ويطمئنه ويدعوه للمضي قدماً دون الاكتراث للمعارضين أو الحساد الذين يحاولون إثارة الأقاويل ضده أو ضده رسالته، ارى في هذا البيت يحمل طابعاً صوفياً عميقاً، هذا يؤكد على الدلالات الروحية والصوفية التي عرفت بها الشاعرة.

(١) سورة إبراهيم: آية ١٨.

(٢) عائشة الباعونية: هي عائشة بنت يوسف بن احمد الباعونية الدمشقية ، هي شاعرة أديبة فقهية عربي، ولدت في دمشق في بيت علم وأدب ، توفيت سنة (٩٢٢هـ) في دمشق ، واشتهرت بالبديعية ، هي قصيدة في مدح النبي.

(٣) البديعية وشرحها الفتح المبين في مدح الأمين ، تأليف عائشة الباعونية ، تحقيق دكتور عادل العزاوي ودكتور عباس ثابت، ط١،، دار كنان للنشر والتوزيع ، دمشق – شارع بغداد ، ٢٠٠٩م: ١٠٥.

(٤) سورة القصص: آية ٣١.

وكقولها ايضا[1]:

**فـي الُـنـوِر لاحَ عُلاهُ لا نـظيـر لـهُ نُـورُ الـقُـرآن قـرآنـاً مـن لَـدن حكـمِ**

وظفت الشاعرة المرجعية الدينية في عجز البيت وهو مقتبس من قوله تعالى ((وإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ))[2] ، وهذا بيت يظهر عظمة القرآن الكريم ، تبين لنا هذه الابيات عن تأثر الشاعرة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بشكل واضح يمكن ملاحظتها من خلال قصائدها.

(١) البديعية وشرحها الفتح المبين: ١٠٦
(٢) سورة النمل: الآية ٦.

# الخاتمة

تعد مرجعية الدينية مظهراً من أبرز المظاهر التي عكست تأثر الشعراء بالتراث الادبي، إذ مثلت عنصرا جوهرياً استلهم منه الشعراء مضامينهم وأبرزت بديهية الشاعر المملوكي الحاضرة وقدرته الفائقة على توظيف النصوص الدينية بشكل يتناغم مع معاني التي يعبر عنها.

كما أن الشعراء أكثروا من توظيف المرجعية الدينية المباشرة للتعبير عن رؤاهم وتجاربهم الشعرية.

# المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
-أبو بكر الدماميني شاعرا وناقدا، مع جمع شعره وتوثيقه ودراسته، إعداد سارة حسين السراحنة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، ٢٠٠٧م.
-أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، د. علي حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
- أثر القران الكريم في الشعر الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين، هادي طالب العجيلي، ط١، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ٢٠٢٠م.
- البديعية وشرحها الفتح المبين في مدح الأمين ، تأليف عائشة الباعونية ، تحقيق دكتور عادل العزاوي ودكتور عباس ثابت، ط١،، دار كنان للنشر والتوزيع ، دمشق – شارع بغداد ، ٢٠٠٩م.
- توظيف المرجعيات الثقافية في شعر محمد مردان، محمد جواد علي ، دار ضفاف للنشر ومنشورات الاختلاف ودار الامان ، الرباط المغرب ،٢٠١٣.
-الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والاعراب وسائر الفنون ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: عبد اللطيف حسن بن عبد الرحمن ، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠م.
-الحسن الصريح في مائة مليح ، الصفدي ، تحقيق د. أحمد فوزي الهيب، ط١، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق ، ٢٠٠٣م.
- ديوان ابن نباتة المصري ، الشيخ جمال الدين بن نباته المصري الفاروقي ،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، د. ت.
-ديوان ابن الوردي، عمر بن المظفر ابن الوردي، حققه وعلق عليه وجمع ملحقه: د. احمد فوزي البيب،، ط٢ مؤسسة الرسالة ، الدار العامرة ،سورية دمشق ، ٢٠١٠م.
-ديوان بهاء الدين زهير، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٤م.
-ديوان البوصيري، شرف الدين ابي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٥٥م.

- ديوان الشاب الظريف،صلاح الدين الهواري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٩٩٥.

- ديوان الشذور ، الحسن بن عمر ابن حبيب (٧٧٩هـ) ، تحقيق الاستاذ الدكتور حسن عبد الهادي، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٩م.

- ديوان شمس الدين الكوفي (ت٦٧٥هـ) جمع وتحقيق د. ناظم رشيد شيخو، ط١، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ٢٠٠٦م.

- ديوان الصاحب بهاء الدين الإربلي علي بن عيسى الإربلي (ت٦٩٢هـ)، صنعة وتحقيق كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الينابيع، دمشق- سوريا، ٢٠٠٦م.

-ديوان صفي الدين الحلي ، تنسيق وفهرسة (د. الشويحي) ، دار صادر - بيروت، د. ت.

-ديوان يوسف بن لؤلؤ الذهبي (ت٦٨٠هـ) جمع وتحقيق ودراسة: عباس هاني الجراخ، الآفاق العربية، ٢٠٠٤م.

-سراج الدين الوراق حياته وشعر جمع ودراسة ، اعداد طالب ميسر حميد سعيد، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٩٨٢م.

- شرح ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية ،تطبعة مؤسسة المطبوعات الاسلامية ، مكتبة عبد الرحمن ، الازهر – القاهر، د. ت.

- شعر ابن فضل العمري (ت٧٤٩هـ) جمع وتوثيق ودراسة ، اعداد علي محمد غريب، رسالة ماجستير بكلية الدراسات العليا، جامعة الخليل ،سنة ٢٠٠٨م.

-شعر ابن الهائم المنصوري جمع ودراسة وتحقيق أ. م. د. فاطمة حيدر علي، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، مج٢٢، ع٢، ٢٠١١م.

- شعر أبي الحسين الجزار المصري (ت٦٧٩هـ) ، جمع وتحقيق د. أحمد عبد المجيد، محمد خليفة ، ط١، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٦م.

- شعر محي الدين ابن قرناص الحموي دراسة وتوثيق حسين عبد العال اللهيبي، مجلة مركز دراسات الكوفة، ع٣١، ٢٠١٣م.

- شعر محي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ) ،ت الدكتور عادل كتاب نصيف العزاوي ، ط١، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، بغداد شارع السعدون، د. ت.

-الشيخ علاء الدين الوادعي الكندي - حياته وما تبقى من شعره، مؤلف رائد عبد الرحيم، دار

كنوز المعرفة العلمية ، ٢٠١٧م.
- الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، ط١٠، دار المعارف- مصر، ١٩٨٦م.
التصوير الفني في القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت١٣٨٦هـ)، دار الشروق، بيروت- لبنان، د. ت.
- فوات الوفيات والذيل عليها، تأليف: ابن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، د. ت.
-القرآنبة في شعر الرواد دراسة لفاعلية النص الابداعي ، إحسان الشيخ عاصم التميمي، الشؤون الثقافية ، بغداد – العراق ، ٢٠١٣.
- لسانيات الخطاب وانساق الثقافة، د. عبد الفتاح أحمد يوسف، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت، ٢٠١٠م.